

مفهوم الغير

جميع الحقوق محفوظة www.lyceee.com

تقديم

يرتبط الغير بمجال التأمل الفلسفي في الوجود البشري في بعده العلائقي: الوجودي و الفكري المعرفي و الوجداني العاطفي. ويعرف أرسطو الغير بقوله " إنه يدل على الآخر-الأنا، الأنا-الصديق، إنه المرآة التي أتواجد من خلالها. أما سارتر فيرى أن الغير هو الأنا الذي ليس أنا، المختلف، إنه شرط وجودي.

نستنتج من هذه الدلالات أن الغير أو الأنا-الآخر هو الآخر البشري وهو الصديق، والمختلف عن أنا الذي يمكنني من الوصول إلى ذاتي ومن ثم لا يمكن تصور غياب الآخر، فبدون الآخر /الغير أي بدون الاختلاف و التمايز ماكان يمكن أن يوجد شيء.

المحور الأول

وجود الغير :

كيف يتحدد وجود الغير بالنسبة للأنا ؟ هل هو وجود افتراضي أم وجود ضروري ؟

حاولت الفلسفة الحديثة مقارنة إشكالية الغير ضمن إشكالياتها الرئيسية، فالفلسفة الديكارتية حاولت إبراز الأنا الفردية كذات و واعية ومفكرة، حيث سعى ديكارت من خلال عملية الشك إلى رفض كل الموجودات الفكرية والمادية، واعتمد على فكره للوصول إلى اليقين العقلي البديهي، ووجود الغير في إدراك الحقائق ليس ضروريا ... و الاعتراف به لا يأتي إلا من خلال قوة الحكم العقلي حيث يكون الغير افتراضيا واستدلاليا.

إن وجود الغير عند ديكارت ليس ضروريا، بل هو وجود جائز وافتراضي، لا تلتقي معه الذات إلا بواسطة الاستدلال. إي أن وعي الذات بنفسها هو أساس وجودها. لكن هذا يجعل موقف ديكارت موقف عزلة جذرية تقترب من التفوق على الذات.

غير أن إشكالية الغير أخذت مسارها، كإشكالية فلسفية مستقلة، مع الفلسفة الهيكلية التي ستتجاوز هذه النظرة الديكارتية :

يرى هيجل أن الذات حينما تنغمس في الحياة لا يكون وعيا للذات. وإنما نظرة إلى الذات باعتبارها عضوية. فوعي الذات لنفسها يكون من خلال اعتراف الغير بها. وهذه عملية مزدوجة يقوم بها الغير كما تقوم بها الذات، واعتراف أحد الطرفين بالآخر لا بد أن ينتزع. هكذا تدخل الذات الأنا في صراع مع الغير حتى الموت. وتستمر العلاقة بينهما في إطار جدلية السيد و العبد، وهكذا يكون الغير بالنسبة للذات وجودا ضروريا.

هناك حسب هيجل، ارتباط وثيق بين الأنا الآخر، ارتباط بين طرفين يوجدان في استقلال أحدهما عن الآخر. إنه على عكس ذلك ارتباط بين طرفين يبتقان في علاقتهما وليس قبلها. إن انبثاق الأنا من حيث هو وعي بالذات لا يمنح بشكل سلمي، وإنما ينتزع عبر صراع يخاطر فيه كل من الوعيين بحياته ويسعى إلى موت الآخر، غير أن الموت الحقيقي ليحقق الاعتراف و إنما يخففه استسلام أحد الطرفين وتوقفه عن الاستمرار بالمخاطرة بحياته بحيث تنشأ بينهما علاقة السيد بالعبد تلك هي المولدة للأنا وللآخر كوعيين بالذات، أي كإنسانين.

المحور الثاني

معرفة الغير

لم يعد الشك في وجود الغير ممكنا بعد هيجل، لكن مشكل معرفته بقي مطروحا :كيف أتعرف عليه هل أعرفه كما أعرف الأشياء أي كموضوع ؟ أم أتعرف عليه كذات تحمل وعيا وحرية...؟

يركز سارتر على أن معرفتي بذاتي هي من معرفتي بغيري. فالغير هو الوسيط الضروري بيني وبين نفسي. إنه طريقي نحو اكتشاف ذاتي. وتعد تجربة الحجل المثال النموذجي. عندما أخجل فأنا أتعرف لذاتي بأني كما يراني الغير. هذه التجربة الحرجة والمقلقة هي التي تعطي أحد أهم معاني معرفة الغير. ولكنها تعطيني في نفس الآن إمكانية مقاومته ورفض نظريته. "فالنظرة التي يمكن اعتبارها هي البنية الأساسية لعلاقتي مع الغير" يمكن اعتبارها موقع حرب بيني وبين غيري قد تهدد حريتي التي علي أن استردها من خلال تصحيح تلك النظرة و رفض إرادة التشيئ الكامنة فيها، أي رفض "الحجيم" الذي تحاول أن تفرضه علي.

أما ميرلوبونتي فيرى عكس ما يراه سارتر، إنه يشير إلى أن معرفة الغير تقتضي من الذات التعاطف معه و الإحساس به ومشاركته في حياته، فبالرغم مما قد يظهر في بعض الأحيان من غياب للتواصل فهو في حد ذاته تواصل. والحالة التي يغيب فيها التواصل هي حين لا يسعى كل من الذات والآخر نحو المعرفة ويبقى كل واحد منهما أسير اختلافه الطبيعي و حينها تبقى كل ذات عاطلة. وهذا ما ذهب إليه كذلك ماكس شيلر حين اعتبر أن التفاعل الوجداني يجعلني أقترب من الغير أكثر من دون أن أتمكن من أن أكون أنا هو في إحساساته ومشاعره وعواطفه، ولكن أستطيع دائما بفضل التعاطف أن أقترب منه حقا.

عند جيل دولوز، الغير بنية تحدد إدراكي وبالتالي معرفتي بذاتي وبالعالم، يجعلني لا أضيع إنسانيتي، يجعلني أنفلت من الوجود المادي .

تركيب

تبقى معرفة الغير مفتوحة رغم المساهمات الأساسية لكل من سارتر و ميرلوبونتي و شيلر ودولوز لأنها تطرح في العمق ما يحدد إنسانية الإنسان وفرديته بشكل جذري. وأن اختلاف التصورات يعود لكيفية فهم

وتحديد عملية المعرفة نفسها هل هي مجرد عملية إدراك ذات لموضوع ؟ أم إدراك ذات لذات؟ إن معرفة الغير ستظل متسمة بطابع إشكالي.

المحور الثالث

أوجه العلاقة مع الغير

الصداقة و الغرابة

الصداقة

هل الصداقة حب ؟ هل هي رغبة أو ميل غريزي ؟ لماذا يرتبط الأنا بالغير برباط الصداقة و المودة ؟ لأنه نافع و مفيد؟ أم لأنه جميل ؟ أم لأنه خير و طيب ؟ أم لعكس هذه الخصال كلها ؟ هل يصادق الأنا الغير شبه بينهما أم لتضادهما ؟ لغاية في ذاته أم كوسيلة ؟

الصداقة من أنبل العلاقات الإنسانية و أسماها قيمة على الإطلاق، وهي ذات طبيعة عاطفية و أخلاقية ، وهي شعور جميل بالفضيلة و تجربة إنسانية عميقة . ومن ثم يبدو أن الحديث عن الصداقة لا يمكن إلا من داخل الصداقة كما يقول الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا. وهذا يجعل من الحديث الفلسفي حديثا حول الصداقة من داخل الصداقة نظرا لأن الفلسفة هي محبة و صداقة الحكمة و الفضيلة. وقد بدأ هذا الحديث الفلسفي حول الصداقة مع أفلاطون ثم أرسطو ...

تعريف الصداقة: الصداقة مشتقة من الصدق و هو الإخلاص . فالصديق هو صاحب الصادق والمخلص نومن هنا تعني الصداقة علاقة محبة و مودة صادقة وخالصة. وفي اللغة الفرنسية كلمة صداقة مشتقة من الحب و أن يحب إنسانا شيئا أو غيرا معناه أن يشعر بميل ورغبة نحوه، أي بنقص غريزي جسدي أو وجداني ينتظر امتلاء . ويفترض ذلك أن يكون موضوع الحب قابلا للحب.

يجيب أفلاطون عن الإشكال السابق في بحثه عن أساس الصداقة، في محاوره خصها للصداقة، بقوله إن الصداقة علاقة محبة متبادلة بين الأنا و الغير، تلجأ إليها الذات عندما في حالة نقص نسبي إن ما يجعلها تسعى إلى تحقيق الكمال مع من هو أفضل. ولو هيمن الشر على الذات فإنها ستكون في حالة نقص مطلق لا تستطيع معه أن تسمو إلى الخير. ولو كانت في حالة نقص مطلق لا تستطيع معه أن تسمو إلى الخير. ولو كانت في حالة خير مطلق لعاشت نوعا من الاكتفاء الذاتي. فالدافع إلى الصداقة هو الرغبة في تحقيق سمو الذات وكمالها من خلال الغير الصداقة يقوم على محبة الخير والجمال لذاته أولا، ثم للأصدقاء ثانيا، ولذلك تدوم وتبقى

أما أرسطو فيرى إن الصداقة ناتجة على دوافع ثلاثة: إذ هناك صداقة المنفعة و صداقة المنفعة و صداقة الفضيلة. لكن الصداقة الحقيقية هي صداقة الفضيلة لما تتسم به من نبل أخلاقي وخصوصا لأنها تحقق التلاحم الاجتماعي بين أفراد المجتمع باعتبار الإنسان " حيوانا مدنيا " ولذا فإن هذا النوع من وفي هذه الصداقة

تتحقق المنفعة والمتعة أيضا نو لكن ليس كغايتين بل كنتيجتين لحب الخير و الجمال في ذاتهما وللأصدقاء وفي الأصدقاء. لذا قال أرسطو : " إن المواطنين لو تعلق بعضهم ببعض برباط الصداقة لما احتاجوا إلى العدالة ."

الغربة

إذا كان مفهوم الغير القريب ينطوي على معنى العلاقات الإيجابية بين الأنا والغير والتي تشكل الصداقة نموذجها الرائع، فإن مفهوم الغير الغريب يوحى على عكس ذلك بمشاعر الخوف والنفور والكراهية والحقد والعداء. أو الحيطة والحذر على و الحذر على الأقل. ومن ثمة يفترض أن يواجه الغريب في الواقع العلي بالإقصاء و النبذ أو بالحرب والتدمير حين يتشخص في الأجنبي الدخيل أو المهاجر أو المختلف ثقافيا أو دينيا أو عرقيا أو اقتصاديا أو سياسيا .

إن الغريب إذن هو كل غير أو آخر يتطفل على جماعة بشرية منظمة و متراسة عن طريق أعراف وتقاليد وقوانين، أو كل من يخرج عن هذه القوانين ممن ينتمون إليها ، فيحدث فيها خللا وعدم توازن . فتتجه إلى القضاء عليه أو إقصائه و تهميشه لإعادة الوضع السليم و الاستقرار لها .

و لكن وحدة الجماعة ووحدة الأنا ليست في الحقيقية والعمق سوى مظهر عام، عندما ندقق في تفاصيلهما ينكشف لنا أن في كل جماعة وفي كل أنا اختلافات وتناقضات بحيث يشتملان في نفس الوقت على السواء والانحراف، وعلى القبول و الرفض وعلى الحب و الكراهية على الأنانية و الإيثار، على الصدق و الكذب.... هذه الغربة الداخلية تتيح القول " إن الغريب يسكننا على نحو غريب " كما تقول كريستسفا ، أي أننا يجب أن نتخذ من الغريب موقف الحوار و التسامح و الاحترام لأنه أنا آخر كائن بشري مثلنا أو ثقافة أخرى يجب أن نتفاعل معها لا أن نتصادم ، أي يجب أن نكون كائنات منفتحة و ثقافات منفتحة .

إن الغربة تسكننا ليس فقط في علاقاتنا المجتمعية وفي علاقاتنا الواعية بذواتنا وبالآخرين، بل هي أحد مكوناتنا النفسية إذ تدخل الغربة في بنية النفسية في شكل غربة مخيفة ومفرعة، مكبوتات طفولية، تشكلات نفسية تنتمي لمرحلة سابقة من نمونا النفسي، الخوف من الموت، من الأشباح ...

خلاصة تركيبية للدرس

يبدو أن العلاقة بين الأنا والغير ستبقى ملتبسة ومنطوية على مفارقة أو تناقضات بسبب تناقض طبيعة الغير وتناقض وضعه إنه آخر مخالف وأنا مشابه و مماثل ، خارجي وداخلي ، معروف ومجهول، مجزأ وموحد، قريب وبعيد، أنيس وغريب ن شريك في الوجود و المصير وعدو منافس ... ومع ذلك يظهر في نفس الوقت أن الغيرة ضرورة إنسانية بسبب نقص أصلي في الوجود البشري ونداء فيه للآخر (نص مارك غيوم). وما يؤكد هذه الضرورة هو أنه حين اختفت أو كادت الغيرة الجذرية في الحياة المعاصرة بسبب شمول التواصل

وهيمنتها نشأت غيرية مصطنعة مزيفة مكانها، إذ أن الأغيار الذين وحدتهم شكليا وساءل الإعلام العصريه، كأنما يحاولون التعويض عن الغيرية الجذرية التقليدية المنقرضة أو الآخذة في الانقراض بغيرية مصطنعة يلعب فيها كل منهم دور الغير المجهول أو الآخر الغريب، ويتظاهر بخلاف ما هو عليه في الواقع (التنكر، الجماعات السرية، الرسم على الجدران، الإدمان على المخدرات)

هاهنا تبلغ الغيرية قمتها: في الوقت الذي يبدو فيه التواصل قد بلغ بفضل التقدم التقني منتهاه في التقريب بين الأنا والغير وإلغاء المسافات والحواجز بينهما يعلن التواصل عن فشله، ويظهر البحث عن غيرية جديدة، عن عالم مجهول للضياع و التيه و الاغتراب ، عن رحلة حقيقية أو خيالية ووهمية بحيث يبدو أن الإنسان كائن من _ جل _ الآخر وسيظل كذلك . لا يستطيع أن يتعايش ببعد واحد، ولا أن يتعايش مع غيرية مطلقة أو عياب عن الغيرية.

تمريره تطبيقي

"ستكون معرفتنا بالغير على درجة كبيرة من الخطأ، إذا اقتصرنا فيها على ما لدينا من معرفة حول أنفسنا"

جميع الحقوق، محفوظة www.lvceee.com

إشرح مضمون هذا القول وبين حدوده .